الاعتراض و الزيادة في شعر ابي تمام

الدكتور نبيل محمد سلمان (*)

أجمع النقاد القدامى على أن من مقاييس اللفظ ، هو التلاؤم بينه وبين المعنى المراد تقديمه، فاذا فقد اللفظ ملاءمته للمعنى كان ذلك سبب ردائته ، والمدح فيه.

و يطلق النقاد كلمة (المعنى) و يريدون بها في الغالب (الغرض) او (المقصد) او ما يريد المتكلم ان يثبته او ينفيه من الكلام . (المعنى) بهذا الاستخدام يرادف عندهم (الفكرة) العامةالمجردة ، التي يتفنن المنشيء في صياغتها ، ثم يستخلفها المتلقي من مجموع ما قاله المنشيء (١) .

وكان بشر بن المعتمد من أقدم من حرض لملاءمة اللفظ للمعنى ، فقال في صحيفته : [ومن أراغ معنى كريما فليلتمس له لفظا كريما ، فان حق المعنى الشريف اللفظ الشريف ، ومن حقهما أن تصونهما عما يفسدهما ويصحبهما] (٢).

وذكر الجاحظ : [أن سخيف الالفاظ مشاكل لسخيف المعاني ، وقد يحتاج الى السخيف في بعض المواضيع ، وربما أمتع بأكثر من أمتاع الجزل الفخم من الالفاظ والشريف الكريم من المعاني] (٣) .

والى مثل هذا ذهب أبن طبطابا فقال :[وللمعاني الفاظ تشاكلها فتحسن فيها ، وتقبح في غيرها] (٤) .

(*) استاذ اللغة العربية المساعد في قسم اللغة العربية – كلية ألآداب / جامعة بغداد .

(١) الصورة الفنية في التراث الفني و البلاغي ، الدكتور جابر احمد عصفور : ٣٨١.

(٢) البيان و التبيين : ١/ ١٣٦ .و ينظر : العمدة : ١/ ٢١٣ .

(٣) البيان و التبيين : ١ / ١٤٥ .

(٤) عيار الشعر : ٨ .

ووضع النقاد مقاييس لمعرفة جودة الالفاظ أو رداتتها ، فيها أن تفيد لذلك قيمة واضحة في السياق الا أن تكون مقحمة فيه ، وفي ضوء ذلك عابوا الكلمة الزائدة، أو المرادفة ، التي تأتي حشوا يمكن اسقاطه من الكلام دون أن يخل ذلك بمعناه .

وقال قدامة في تعريف (الحشو) : [وهو أن يحشى البيت بلفظ لا يحتاج اليه لاقامة الوزن] [١] .

أما ابن رشيق فقد ذكر أصطلاحا آخر للحشو هو (الاتكاء) ، فقال عن الحشو [وسماه قوم الاتكاء وذلك أن يكون في داخل البيت من الشعر لفظ لايفيد معنى ، وأنما ادخله الشاعر لاقامة الوزن ، فان كان ذلك في القافية فهو (استدعاء) .....] [٢].

واستخدم أبن الاشعب اصطلاحا آخر هو الاعتراض وقال : [وبعضهم يسميه الحشو ، وحده كل كلام أدخل فيه لفظ مفرد أو مركب لو سقط لبقى الاول على حاله] [٣] .

ويرى محمد الهادي الطرابلسي [أن الاعتراض والزيادة في بعض وجوهها من مظاهر تغيير الترتيب في عناصر الجملة ، فالاعتراض يكون بتغيير الترتيب اي التحويل احد عناصر التركيب عن منزلته واقحامه بين عناصر من طبيعتها التسلسل ، كما تكون الزيادة في التركيب مجردة ، غير معترض بها ، وغير ملحقة بالترتيب تغييرا] [٤].

---

(١) نقد الشعر : ٢١٤ .

(٢) العمدة : ٢ / ٦٩ .

(٣) المثل السائر : ٣ / ٤٠ . و يقول ابن الاثير : [مثال ذلك ان نقول زيد قائم ، فهذا كلام مفيد و هو مبتدأ و خبر ، فاذا ادخلنا فيه لفظا مفردا قلنا زيد و الله قائم ، و لو ازلنا القسم منه بقي على حاله . و اذا ادخلنا في هذا الكلام لفظا مركبا ، قلنا : زيد على ما به من المرض قائم . فادخلنا المبتدأ و الخبر لفظا مركبا و هو قولنا على ما به من المرض ، فهذا هوالاعتراض .. هذه] [و ينظر : المصدر نفسه : ٣ / ٤٠ - ٤١] .

(٤) خصائص الاسلوب في الشوقيات : ٢٩٠ .

والحشو عند البلاغيين قسمان ، الاول : الاعتراض وهو [لايأتي في الكلام لغير الفائدة وهو جار مجرى التوكيد] .الثاني : الزيادة وهو [ان يأتي في الكلام لغير فائدة ، فاما ان يكون في او خروجه منه ، واما ان يؤثر في تأليفه نقصا وفي معناه وفي معناه فسادا] (١) .

والحشو شائع في تراكيب البيت الشعري عند ابي تمام بقسميه الاعتراض والزيادة ، وسبب ذلك كما يخيل إلي ان جملته الشعرية الطويلة واستخدامه الاوزان ذات المساحة الايقاعية الواسعة دفعاه على وفق النحو الآتي :

اولا - الاعتراض :

وهو في جملة ابي تمام الشعرية إما اعتراض بتغيير الترتيب ، وأما اعتراض بالزيادة .

أ - الاعتراض بتغيير الترتيب :

ونعني به الاعتراض بتغيير الترتيب النحوي في بنية البيت الشعري ،وهو كثير في شعر ابي تمام ،نحو قوله:

وان الغنى لي ان لحظت مطالبي

من الشعر الا في مديحك اطوع (٢)

قال ابن الاثير : [وهذا البيت فيه اعتراضان .الاول : بين اسم أنّ وخبرها، تقديره ، وان الغنى اطوع لي من الشعر ، فاعترض بين الاسم والخبر بقوله : (ان لحظت مطالبي) .اما الاعتراض الثاني : فقوله : (الا في مديحك) فجاء في الجملة الاستثنائية مقدمة ، وموضعها التأخير . فاعترض بها بين الجملة التي هي خبر إن . وتقدير البيت بجملته (وان العمى اطوع لي من الشعر ان لحظت

---

(١) المثل السائر : ٣ / ٤١ .

(٢) الديوان : ٢ / ١٨ .

مطالبي الا في مديحك) ، وفائدة قوله الا في مديحك من الاعتراض الذي اكتسب به الكلام رقة وفائدة حسنة ، والمراد به وصف جود الممدوح بالاسراع ، ووضعت خاطر شعره بالاسراع اذا كان في مدحه خاصه دون غيره ، فهذا الاعتراض يتضمن مدح الممدوح والمادح معا ، وهو من محاسن ما يجيء في هذا الموضع] [١] . وكقوله :

أهيس أليس لجاء الى همم

تغرق الاسد في آذيها الليا [٢]

و(في آذيها) اعتراض بين الصفة و الموصوف . وقد يقود الاعتراض الى تعقد جملته الشعرية وتزداد غموضا ، نحو قوله :

في معرك أما الحمام فمفطر

في هبوتيه والكماة صيام

الضرب يقعد قرم كل كتيبة

شرس الضريبة والحقوف قيام [٣]

قال الدكتور نجيب محمد البهبتي : [فاما وما بعدها صفة لـ (معرك) .ويقعد وما بعدها خبر لـ (الضرب) . وقرم ،المفعول به ، الفضلة في الجملة :مضاف الى (كل) وهي بدورها مضافة الى (كتيبة) ، وقرم ، موصوف (شرس) المضافة الى (الضريبة) ويلي اولئك جميعا الجملة الخالية] [٤] .و كقوله :

ووالله لاتقضي العيون الذي له

عليها، ولو صارت مع الدمع أدمعا [٥]

---

(١) المثل السائر : ٣ / ٤٦ .

(٢) الديوان : ١ / ٥٧٧ .

(٣) الديوان : ٢ / ٣٧٨ .

(٤) ابو تمام الطائي ، حياته و حياة شعره : ٢٣٨ .

(٥) الديوان : ٣ / ٣١٩ .

و(الذي له عليها) اعتراض بين جملة (لاتقضي العيون) ومتعلقها. وقوله :

ان ابــن يوســف نجى الثغر من سنة
اعــوام يوســف عيش عندها رغد [١]

اي : اعوام يوسف عيش رغد.

ب - الاعتراض بالزيادة :

وسماه ابن رشيق الالتفات وقال : [وهو الاعتراض عند قوم ، وسماه آخرون الاستدراك ، حكاه قدامة،وسبيله ان يكون الشاعر آخذا في معنى ثم يعرض له غيره فيعدل عن الاول الى الثاني فيأتي به ثم يعود الى الاول الى غير ان يخل في شيء مما يشد الاول] [٢] .وكثيرا ما استخدم ابو تمام هذا النوع من الاعتراض.

ومن الاعتراض بالزيادة عند ابي تمام ، قوله :

أقروا - لعمري - بحكم السيوف
وكانت احق بفضل القضاء [٣]

فقوله (لعمري) اعتراض بالزيادة.

وقد علق ابن الاثير على هذا البيت قائلا : [فان قولة لعمري زيادة لا حاجة للمعنى اليها، وهي حشو في هذا البيت ، لافائدة فية الا اصلاح الوزن لاغير . الا ترى انها من باب القسم ، وانما يرد القسم في موضع يؤكد به المعنى المراد ، اما لانه مما يشك فيه ، او مما يعز وجودة، او ماجرى هذا المجرى ، وهذا البيت الشعري لايفتقر معناه الى توكيد قسمي، اذ لاشك في ان السيوف حاكمة ، وان كل احد يقر لحكمها ، ويذعن لطاعتها] [٤] .

---

(١) الديوان : ١ / ٤٢٩ .
(٢) العمدة : ٢ / ٥٤ .
(٣) الديوان : ٣ / ٢٢٦ .
(٤) المثل السائر : ٢ / ٧٦ .

وقوله:

عجب لعمري أن وجهك معرض

عني وانت بوجه نفعك مقبل [١]

فقوله (لعمري) اعتراض بالزيادة . ولقوله :

أغلى عذارى الشعر ان مهورها

عند الكريم وان رخصن غوال [٢]

فقوله (عند الكريم وان دخصن) اعتراض بالزيادة . وكقوله :

أما لغيب ليس له : اريد غمامه

اولـم يـرد بد من التهطـال [٣]

فقوله (اريد غمامه اولم يرد) اعتراض بالزيادة . و كقوله :

رددت رونق وجهي في صحيفته

رد الصقـال بمـاء الصارم الخذم

ومـا ابـالي وخير القول اصدقه

حقنت لي ماء وجهي او حقنت دمي [٤]

فقوله : [– وخير القول اصدقه – اعتراض بين المفعول والفعل ، لان موضوع حقنـت نصب ، اذهو مفعول أبالي ، وفائدتـه اثبات ما مائل بـه بين ماء الوجه والدم ، اي ان هذا القول صدق ليس بكذب] [٥] . وقوله :

---

(١) الديوان : ٢ / ٣٠٤ .

(٢) الديوان : ٢ / ٣٠٤ .

(٣) الديوان : ٢ / ٣٠٥ .

(٤) الديوان : ٢ / ٣٩٥ .

(٥) المثل السائر : ٣ / ٤٦ .

وانـــك ان صد الزمان بوجهه

لطلـــق ومـــن دون الخليفة باسل [١]

فـ (ان صد الزمان بوجهه) اعتراض بالزيادة . وقوله :

لـــه ريقـــة طل ولكن وقعها

بآثـاره فـــي الشرق والغرب وابل [٢]

فـ (في الشرق والغرب) اعتراض بالزيادة . وقوله :

ولي همة تمضي العصور وانها

كعهـدك مـــن ايـــام وعدك حامل

سنـــوات قطعناهن حتى كانما

قطعنـــا لقـرب العهد فيها مراحل [٣]

فالاعتراض بالزيادة (من ايام وعدك) و (لقرب العهد) .

ثانيا - الزيادة :

ونعني بالزيادة [كل عنصر او مركب استعمله الشاعر غير معترض بـه في التركيب وغير لازم فيه ، اي قابلا للحذف لتوفر ما يدل على معناه في السياق او لعدم تعلق ما له] [٤] .

ومثلما يستخدم أبو تمـام الاعتراض فـي بنيـة البيت الشـعري ، فأنـه يستخدم الزيادات في تركيبه الشعرية وبنسبة أ قل .ومن الزيادات في شعره ، قولـه يصـف قصيدة :

---

(١) الديوان : ٢ / ٣٢٩ .

(٢) الديوان : ٢ / ٣٣٣ .

(٣) الديوان : ٢ / ٣٤١ .

(٤) خصائص الاسلوب في الشرقيات : ٢٩٨ .

خذها ابنة الفكر المهذب في الدجى

والليـل أسـود رقـعة الجلباب [١]

فـ (في الدجى) زيادة قابلة للحذف لتوفر ما يدل على المعنى في السياق وقوله :

كالظبية الأ دماء صافن فارتعت

زهر العرار الغض والجثجاثا [٢]

قـال أبو هلال العسكري :[ليس في وصف الظبية أنها ترتعي الجثجاث فاعدة ، وسواء رمت الجثجاث أو القلام أو غير ذلك من النبت ، واذا قصد لنعت الظبيـة بزيادة حسن قيل أنها تعطو الثمر ، لانها حينئذ ترفع رأسها ، فيطول جيدها ، وتظهر محاسنها] [٣] . وكان قدامة قد عرض لهذا البيت ايضا ،فعابه ، لورود كلمة الجثجاث فيه زائدة استدعتها القافية [٤] . وقوله :

قسم الزمان ربوعها بين الصبا

وقبولهـا ودبـورها أثلاثا [٥]

و(القبول) زيادة أقام الشاعر بها الوزن لان الصبا هي القبول .

وعاب الأمدي على أبي تمام هذا الاستعمال و قال : [و قـد استقصى أصحاب الانواء في كتبها ذكر الرياح و أوصافها و نعوتها ، و أستشهدوا بأكثر ما سمعوه من اشعار العرب فيها . و بالغ أبو حنيفة الدينوري في ذلك ، فما منهم أحد ذكر أن القبول غير الصبا .و أنما قال أبن الاعرابي في نوادره : أن العرب تسمى كـل ريـح طيبـة لينة المس قبولا . قال الاخطل : فانما أراد الصبا ، لانها ريح محبـوبـة تنسـب الى الطيب . و هي دائمة الهبوب لينة المس معتدلة في اكثر

---

(١) الديوان ، ١ / ٢١٥ .

(٢) الديوان ، ١ / ٣٤٩ .

(٣) كتاب الصناعتين ، ٤٧١ .

(٤) نقد الشعر ، ٢١٨ ، ٢١٩ .

(٥) الديوان ، ١ / ٣٤٩ .

أوقاتها : اي فأن قنعت سدوس نائلها فان الريح طيبة مقبول اي ك هي صبا ما تمنعنا من الانصراف و الرحيل ،فان كان ما ذكره أبن الاعرابي صحيحا . وهو الصحيح ، أن شاء الله ، فانهم أنما قالوه لكل رييح طيبة لينة ، قالوا : هذه الصبا ، و هذه القبول ، اي : كالصبا أو كالقبول ، فاسقطوا حرف التشبيه ، وجعلوا المشبه في مكان المشبه به ، كما تقول أذا شممت رائحة طيبة العرف: هذه المسك . واذا رأيت وجها جميلا قلت : هذا هو البدر ، و ان شئت كان المنى . هذه المسك حقا ، و هذا هو البدر يقينا ، ولو هبت شمال شديدة مزعجة حتى تقول : هذه هي الدبور بعينها – لكان هذا من أسوغ كلام وافصحه ، و أن كانت العرب سمت الشمال والجنوب – اذا هبتا هبوبا سهلا لينا – قبولا فأنما شبهوها بالصبا و اعاروها اسمها . وأنما قيل لها قبول لانها تاتي من مطلع الشمس، وهو الموضع الذي يقبل منه النهار . وقيل للدبور دبورا لانها تهب من حيث يدبر ، وقد قيل غير ذلك ، وهذا هو الصحيح] [١] . وقوله :

بيوم كطول الدهر في عرض مثله

ووجدي من هذا وهاذاك أطول [٢]

فـ (في عرض مثله) زيادة ماكان للشاعر حاجة بها غير اقامة الوزن . لانه قد أستوفى المعنى بقوله (كطول الدهر) [٣] . وقوله :

مها الوحش الا أن هاتا أوانس قنا الخط ألا ان تلك ذوابل [٤]

وضرورة القافية اللامية جعلته يستخدم كلمة (ذوابل) بهذه الصيغة التي تفيد اثبات الذبول لتنا الخط ، ونفيه عن قدود النساء وقوله :

---

(١) الموازنة ، ١٣٤ – ١٣٥ .

(٢) الديوان ، ٢ / ٢٩٧ .

(٣) ينظر : الموازنة ، ١٦١ .

(٤) الديوان ، ٢ / ٣٢٥ .

وصنيعــة لك يثــب اهديتهــا وهي الكعاب اعائذ بك مصرم

حلت محل البكر من معطى وقد زفت من الغى زفاف الأبســم [١]

فاقامة الوزن للفظة معينة هي التي دعت ابا تمام الى وضع كلمة (كعاب) مضادة لكلمة (يثب) وكلمة (الأبسم) مضادة لكلمة (البكر) [٢] .

وقوله :

جذبت نداه غدوة البت جذبة فخر صريعا بين ايدي القصائد [٣]

فـ (غدوة البت) زيادة لايحتاج اليها . ولا تقع فائدة بذكرها [٤] .

وقوله :

نقــرت بأسمــك فــي الظـلام مدرأ داود إنك في الفعال حميد

قد قيل : أين تزيد ، قلت : أخا الندى وأبا سليمان الأغر أزيــد [٥]

فـ (وأبا سليمان الأغر) زيادة ما كان للشاعر حاجة بها غير اقامة الوزن لانه قد استولى المعنى بقوله (أخا الندى) .

ومن الزيادات في شعر ابي تمام (أن) بعد (لعل) نحو قوله :

فلعل عتبك أن تعين بمائها والدفع منه خاذل ومواس [٦]

فـ (أن) زيادة جاء بها الوزن .

قال التبريزي : [عند النحويين أن (لعل) يجب أن تدخل (أن) في خبرها فيقال لعلك تقوم الا في الشعر ...] [٧] .

---

(١) الديوان ، ٢ / ٤٢٩ .

(٢) ينظر : الموازنة ، ١٣٦ .

(٣) الديوان ، ١ / ٤٢٠ .

(٤) ينظر : سر الفصاحة ، ١٤٣ .

(٥) الديوان ، ١ / ٥٠٧ .

(٦) الديوان ، ١ / ٥٦٩ .

(٧) شرح التبريزي ، ٢ / ٢٤٢ .

المصادر والمراجع :

١ - ابو تمام الطائي حياته وحياة شعره ، محمد نجيب البهبيتي ، ط ٢ ، ١٩٧٠.

٢ - البيان والتبين ، ابو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، تحقيق عبدالسلام محمد هارون ، مطبعة المدني ، ط ٥ ، القاهرة ، ١٩٨٥ .

٣ - خصائص الاسلوب في الشوقيات ، محمد الهادي الطرابلسي ، منشورات الجامعة التونسية ، ١٩٨١ .

٤ - ديوان ابي تمام بشرح الخطيب التبريزي ، تحقيق محمد عبده عزام ، دار المعارف بمصر ، المجلد الثاني : ط٢ ، ١٩٦٩ .

٥ - سر الفصاحة ، ابن سنان الخفاجي ، شرح وتصحيح عبدالمتعال الصعيدي ، مكتبة صبيح ، ١٣٨٩-١٩٦٩ م .

٦ - شرح الصولي لديوان ابي تمام ، دراسة وتحقيق الدكتور خلف رشيد نعمان ، وزارة الاعلام ،بغداد ، ط١ ، ج١ : ١٩٧٧ ، ج٢ : ١٩٧٨، ج٣ : ١٩٨٢ .

٧ - الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي ، د.جابر احمد عصفور ، القاهرة ، ١٩٧٤ .

٨ - العمدة في محاسن الشعر وادابه ونقده ، ابو علي الحسن بن رشيق القيرواني ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الجبل ، بيروت ، ط ٤ ، ١٩٧٢ .

٩ - عيار الشعر ، محمد بن احمد بن طباطبا العلوي ، تحقيق الدكتور طه الحاجري والدكتور محمد زغلول سلام ، المكتبة التجارية ، القاهرة ، ١٩٦٥ .

١٠ - كتاب الصناعتين الكتابة والشعر ، لابي هلال العسكري ، تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد ابو الفضل ابراهيم ، ط ٢ ، ١٩٧١ .
١١ - المثل السائر في ادب الكاتب والشاعر ضياء الدين بن الاثير ، تحقيق الدكتور احمد الموفي والدكتور بدوي طبانة ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ، القاهرة (د. ت.) .
١٢ - الموازنة بين ابي تمام والبحتري ، ابو القاسم الحسن بن بشر الامدي ، تحقيق السيد احمد صقر ، دار المعرف بمصر ، ط٢ ، ١٣٩٢ هـ / ١٩٧٢ م .
١٣ - نقد الشعر ، ابو الفرج قدامة بن جعفر ، تحقيق كمال مصطفى ، ط١ ، ١٩٤٨ .